بيان الروح

هادي دانيال

□ إلى ذكرى «علي فوده»(*)

I

1 -

في أَدغالِ روحيَ الزّرقاء، دَمٌ جافٌّ أسود. . ،
وخيوط كفِّيَ تحتفظ بجدْوَل رؤًى يَسْقي أزهار وحدتي
بحنان. . ،
والقَلْبُ بساط الرّيحِ عليهِ تمدَّدا عاريين من وَقْتٍ مضىٰ،
سَأَمضي بِكُمَا إلى سَهْلٍ أخضر خَلْفَ يابسةِ الأَرْضِ
ومائها. . ،
سَنَرْعىٰ أحلامَنَا، بصوفها نتدفّأ، نغتذي باللَّبَنِ المستحيل. .
ليس على الأَرْض غير مَرْضىٰ خَرَجوا من مجلّدات
دستويفسكي
التسعة عشر. .
الثوراتُ حرائقُ تُطْهىٰ على لهبها براءةُ العالم،
ودخانها يخنق الأَمَل الطريّ في مَهْدِ الأُفق. .
لَمْ يَبْقَ في هذا
العالم
غَيْرَ رجل
وَمُهَنَّد. .
وامرأةٍ
فَيَضَانُ العَفَن ابتَلَعَ سفينةَ نوحٍ أيضاً،
فَلْنُحَلِّق على بساط الرّيح. .
. . . . . .

2 -

على طاولةٍ من عظامِ الأيّام، مزهريّةٌ يتلاطَمُ فيها بَحْرٌ أجاجٌ،
ومن فمها يتدلّىٰ جرْحٌ مفتوحٌ لا ينطق. .
عيناي على الطاولةِ وقلبي. . ،
وحنجرتي شلّالٌ يتدفّق من نافذةٍ تطلّ على المدى الرماديّ. .
. . . . . .

3 -

الحدود العربيّة خنادق واسعةٌ، ونحن جياد كسيحةٌ، صهيلُنا
يُحَنَّطُ في الملفّات. . «الدّاخليّة». .
فَدَعي كُلَّ شيءٍ على حالِه، اقتلعي من لَهْوِهِ (الفتىٰ؟. .)،
التَصِقَا بي: مساماتُ الجسَدِ مُشْرَعةٌ،
فَاسْتَحِيْلا هواءً وَادْخُلا. .
فالقلب جاهزٌ للإقلاع. .

(*) علي فوده، شاعر فلسطيني عاش بين الأردن والعراق ولبنان حياةً ذئبيّة. كان لحظة استشهاده يوزّع مجلته الأدبية (الرصيف) التي كان يرأس تحريرها في بيروت. . ، فأصابته شظيّة من شظايا القنابل الإسرائيلية في حصار بيروت 1982.

4 -

كيفَ أُطَهِّرُ النَّهْرَ بأملاحِ البَحْرِ؟ . . ،
كيفَ أُطْلق الأنساغَ في الحجارةِ المقدسيّة، !
والأوبئة تقادَمَتْ؟ . . ،
أيّ نـارٍ تمكّنني من نَثْـرِ رمـادِ الـطّوائف فـوق محيـطاتِ
الجليد؟ . .
سأستأجر عَرَبَةً يجرّها حصانٌ بجناحين،
سأحشر الأَرْضَ في العَرَبةِ،
وأهمز الجوادَ الأعْمىٰ . .

II

في رأسِ جَبَلٍ رمادُ رايةٍ،
في رأسِ عصفورٍ بقايا قَفَصٍ
(وفضاء يفضي لفضاء . .)
في رأسيَ اشتعال أسئلةْ:
هَلْ مُدُنُ المكان موطىء لحلمي؟
هَلْ جَسَدُ المعشوقةِ المعاني؟
هَلْ أقذف الجذور في فضاءٍ هاجسٍ؟
هَلْ آخر الطريقِ مفْتَرَقْ؟
مَنْ استضاءَ بالحريق واطئاً رمادَهُ، يَصِلْ؟
مَنْ امتَطَىٰ شخيبَ دمهِ، بَطَلْ؟
هَلْ تخصبُ البلاد بالجثث؟
أيوازي شبْر أَرْض كَفَّ طفْل؟ . .

III

1 -

دَرْبي رَمْلٌ مطحونٌ تحمله أَرْيَاحٌ مُخْتَلِفَهْ
أتكىءُ علىٰ نفسيَ . .
إنّي أنْشر أرشئةَ الصّوت - لألعبَ -
سَرْبَ بروقٍ لا يخمدها رَعْدٌ،
فاستَنْفَرَت الألفاظُ معانيها أجنحةً متلامعةً في سَقْفٍ
يتناءَىٰ، إذْ تقترب الرّؤية منْهُ، إلى نافذةٍ مُنْفَتِحَهْ . .
. . . . . .

2 -

أَبْتَدِعُ مِنَ الذين بينهم أنا، نافذةً عَلَيّ . .
لا أرتق الثقوبَ والبلىٰ، في وَرْدَةٍ تآكَلَ اكْتِمالُها . .
أَنقشُ في الصَّخْرَةِ جذْرِ النَّبْع . . ،
أُثَبِّتُ السَّرَابَ شَكْلَ غابةٍ يقرأها الرَّمْلُ . . ،
أبتكر الأرضَ التي أحلمها مُضَاءَةً بأعين البشَرْ،
هادئةً كعشبةٍ يغمرها الندىٰ . . ،
أبتكر الأرضَ . . لأنَّ كلّ بَلَدٍ في الأَرْض غرْبةٌ،
كلّما حاوَلْتُ من ترابها استراحةَ المحاربِ، تقذف بي عَنْهَا
إلى مخاضِ جَوْلةٍ مُبْهَمَة الخصامِ والخصومْ
في زَمَنٍ/ أَفْعىٰ
يبدّل القشرةَ مضمراً في جسمهِ
السمومْ.
. . . . . .

3 -

● أنا آيةُ الزّنا . .
وَأَدْتُ فيَّ شاعراً رنا،
فَمَا ألَذّ قَلْب شاعرٍ لخنجري دنا . .
□ تاركاً في فمكَ الغبار، أمضي قدُماً . . !
● لا صدى للرّنين، ولا ظلال أرى . . ؟
□ إنَّ القصيدة سَبْحَةٌ، في خلْوَةِ المحبّ،
فأثقب الكلام
مولجاً في الثقوب الإشارات خَيْطاً . .
فهيّا حواراً صريحاً . .
(فأطْلَقَ العقاربَ بين خفي،
واستحال أَفْعىٰ تسدّ فضائي!)
. . . . . .

4 -

لَوْ أنَّ في الغليونِ مُتَّسَعاً لحشْرِ رؤوسكم،
لَجَعَلْتُ أدمغةً رمادا . .
. . . . . .

5 -

شاعرٌ باعَ لحظةَ سكْريَ للشرطةِ الغامضَهْ

شعرهُ قيمةٌ فائضهْ
لَهَبٌ باردٌ في اليَدِ «القابضَهْ»!.
. . . . . .

6 ـ
أتوغَّلُ في غابةِ صَمْتِ كلامٍ صاخب:
أَنْتَ الرّمادُ انشَقَّ عن جَمْرَهْ. . ،
نَعْلٌ دُقَّتْ فيهِ مساميرُ كثارٌ. . ما تَرَّ دَمَا. .
لكنّه في مَزْبَلَةِ الثورةِ، يَبْدو عَلَمَا!.
. . . . . .

7 ـ
البَحْرُ لشاطئهِ، وأمامي: كرسيٌّ من عَظْمِ جوادٍ نافقْ.
طاولةٌ من أثْداءٍ ذابلةٍ.
وَرَقٌ من جلْدِ امرأةٍ كان صهيلُ
الشَّهْوَة فيها أعْلىٰ من رَعـدِ
«الفانتومْ»

فَاجْلِسْ بهدوءٍ (يا أَنْتَ/ أنا)،
واكتُبْ للثورةِ أغنيةَ النَّصْرِ على فَيَضَانِ الرّوحِ
بِسُدّ «الفاليومْ».
. . . . . .

8 ـ
أَكُلُّ ورودنا بالرَّمْلِ مَوْؤُوْدَهْ؟. .
كأنَّكَ تفرد الكفَّيْنَ سخريةً:
ـ وماذا يمنع الخنزيرَ أن يَقْتَضَّ في المرحاضِ رايتَهُ؟. .
وتلوذ بالقَبْرِ الرحيمِ علىٰ يديكَ النَّحْلُ والوَرْدَهْ. .
وتفرّ من مَقْهىٰ الرصيفِ إلىٰ رصيفِ الجرّح. .
كأنَّكَ نائمٌ في قبرهم؟/ إنْهَضْ
في القَبْرِ قُبَّرَة
وغنّي
في صحارى الرّوح:
في الزّمنِ المريضِ
تَخَفَّفَ العاشقُ من جَسَدِهِ،
تَخَفَّفَ الطائرِ من جناحهِ المهيضِ. .

IV

قَيْد التلاشي دائماً لا يتلاشىٰ
وجهُه
الغريبُ

V

1 ـ
إنّي لأَرْفَع للدّمار القُبَّعَهْ
فيمرّ، ثمّ أمرّ بين صغارِهِ متسكّعاً. .
طَيْرٌ على طلَلٍ
ينبّهني إلى ظلّي
فأكسر أَضْلُعَهْ. .
. . . . . .

2 ـ
هذا فقيرٌ يَمْتَح الأَفْراحَ من بئرِ السرابِ،
يستنبط الأهوالَ من صخر الضباب. .
وَبِهِ سأبدأ ثورتي. .
. . . . . .

3 ـ
عائمٌ فوقَ شبْرِ حياةٍ، لِمَ؟
خُذْ رصاصةَ (مايا)، يَنَمْ حلمُكَ الشَّرِسُ. .
إنَّهُ أُفُقٌ من غبار الذئاب
وفي جيدِكَ الفكرةُ ـ الجرَسُ. .
ليس ظلّكَ في وَضَحِ الثورةِ. .
إنّه الحَرَسُ. .
ليس نهْجَ البلاغة سَمْت المليء رموزاً وأسئلةً. .
إنّه الْخَرَسُ. .

VI

1 ـ
هَلْ غابة الكلام يا أفريقيا، مَجْمَرَة مؤقّتَهْ؟،
فَانْصَبَّ فيها غَيْثُ غيرِهَا؟.
كأنّني حَرْفٌ بلا سَطْرِ
أحتضن الْخَمْرَ بدَوْرَقِ المخيّلهْ

فأنتشي سحْراً على سكْري،
وآخُذُ الطريقَ زَبَداً في مَوْجَةٍ تَجْري . .
. . . . . .

2 -

يتـدفَّقُ الينبـوعُ محتضنـاً بـأذرعـهِ البـراعمَ، والحجـارةَ، والأفاعي . . ،
صاعداً رَكْضاً، وهَرْوَلةً إلى أعماقنا يَعْلُو؛
نُفَتِّتُهُ إلى برَكٍ، نسوِّرهُ بأسماكٍ مُجَفَّفَةٍ، ونرفع حَوْلَه الـرايات أَلْوانا . .
بلسانِهِ اقتطَفَ الثّمار، بها رمىٰ الينبوعَ، لم يهبط إلى سَمْت،
وَظَلَّ علىٰ
سَرَابٍ يحتفي بتَشَعُّبِ الطُّرقاتِ صَوْبَ حديقةٍ:
فَمُهُ ندى أوراقها
دَمُهُ شذى أزهارها . . .
لا . . ليسَ من أضلاعهِ أُنثىٰ، ولا من صُلْبِهِ . .
قَضَمَ الخطيئةَ مُمْعِناً فأتاهُ وَحْيٌ، صَدَّهُ،
هَبَطَتْ عليهِ كتائبٌ بيضٌ، فَعَكَّرَ صَفْوَها بدمائها . .
شَجَرُ السراب: براعمٌ نَبَتَتْ على أَفْنَانهِ،
طَيْرٌ بَنَتْ آفاقَهَا،
زَهْرٌ، ثمارٌ، هَرَّت الأوراقُ . .
أَضْرَم نارَهُ،
ماءٌ تَشَلَّلَ من شفارِ حُسَامِهِ . .
فَطَفَا على الينبوعِ غصناً ذابلاً،
وعلى سرابٍ يحتفي بتشعُّبِ الطُّرُقاتِ
أَبْقَىٰ سرْجَهُ
متعثّراً بسراجهِ . . .
. . . . . .

3 -

يطفو على مياهِ حُلُمِهْ . . ،
يكسر قمراً بموجةٍ يسوقُهَا بِقَدَمِهْ . . ،
يلاعبُ الغيمةَ فَوْق صَدْر أُمِّهِ،
حتّىٰ تنامَ في فَمِهْ . . ،
فَأستضيء بانتشاءِ عاشقٍ يغفو الإلٰهُ في دَمِهْ . .

□ □

هَلْ كانَ حُلُماً/ ما زالَ؟/
كنتُ أنزع القناعَ،
كنتُ مفرداً مُطارداً/
في لحظةٍ تقتلع الأناملُ الشريطَ من أغواريَ . . ،
ترسلهُ في أُفُقٍ يجذبني محلّقاً فَوْقَ هَيَاجٍ وأُناسٍ بعصيٍّ
وتضاريس بلادٍ . . .

كلُّ خطوةٍ تجتاز مدناً وَجَبَلاً،
فُوجئْتُ أَنْ صَعَدْتُ في هاويةٍ . . ،
فاستَقْبَلَتْني (بابتسامةِ الدّليل؟)
صبيَّةٌ، فارتَسَمَ الطريقُ غامضاً كمنْجَمٍ،
طارَتْ خُطانا فيهِ،
بَيْنَ يسرايَ
ويمناها
يسير طفلُنَا:
كفَّاهُ نَجْمَتَان . .

تونس - مَرْسىٰ النسيم